E- ISSN : 2571-9742
DM

توثيق أعلام الفقه و الحديث في الأندلس في ضوء تراجم الخشني

د. ة. صورية متاجر
جامعة سيدي بلعباس
sorayabiblio@gmail.com

الملخص:

يعتبر العرب من أقدم الأمم وأكثرها عناية بالتراجم، لقد نشأ التاريخ الإسلامي في حضن علم الحديث، وترعرع في حضن علم الجرح والتعديل الذي هو خادم لعلم الحديث، ويبدو أنه أقدم تقسيم زمني وجد في التفكير التاريخي الإسلامي. يعد كتاب أخبار الفقهاء و المحدثين للخشني من الكتب المتقدمة في تاريخ الرجال في الأندلس، حيث قدم صاحبه صورة واضحة للاتصال الوثائقي و المعرفي لعلماء الأندلس و بالخصوص الفقهاء و المحدثين. ومن مميزات هذا الكتاب: دقة المعلومات الواردة فيه ، و هي معلومات تمتاز بالدقة و التحقق من الرواية، و تقدم لنا بيانات العصر و الثقافة و الإنتاج الفكري.

الكلمات الدالة:

.الخشني، البيبليوغرافيا، معاجم ،الأندلس

.Abstract:

Arabs are considered among the nations and most concerned with tarajim. The history of Islam has arisen in the hadith of science, and grew up in the lap of the flag of wound and modification, which is the servant of hadith science, It seems to be the oldest time division found in Islamic historical thinking.

The book of the news of the fuqaha and the book Akkhbar al fuqahaa wul mohaditheen of Khushani is one of the most advanced books in the history of men in Andalusia, The author presented a clear picture of the documentary and knowledge communication of Andalusian scholars.

Key words:

Translations, Al- Khushani, The Bibliography, Information dictionaries, Andalusia

E- ISSN : 2571-9742
DM

يعتبر العرب من أقدم الأمم وأكثرها عناية بالتراجم، وقد نشأ التاريخ الإسلامي في حضن علم الحديث، وترعرع في حضن علم الجرح والتعديل الذي هو خادم لعلم الحديث، ويبدو أنه أقدم تقسيم زمني وجد في التفكير التاريخي الإسلامي. [1] وقبل ابن النديم الذي عاش إلى أوائل القرن الرابع الهجري، والذي يعتبر صاحب أشهر محاولة مستقلة في فن التراجم. [2] وفي " الببليوغرافيا " العربية – كان فن التراجم– في معظمه مقصورا على خدمة علوم الدين، متأثرا بمنهج الحديث في الإسناد. ونتيجة لطبيعة نشأة التراجم، فإن أكثر كتب التراجم التي ظهرت إلى القرن الخامس الهجري كانت تتناول "المحدّثين" و "الفقهاء".

يعد كتاب أخبار الفقهاء و المحدثين للخشني من الكتب المتقدمة في تاريخ الرجال في الأندلس، حيث قدم صاحبه صورة واضحة للاتصال الوثائقي و المعرفي لعلماء الأندلس و بالخصوص الفقهاء و المحدثين. ومن مميزات هذا الكتاب: دقة المعلومات الواردة فيه ، و هي معلومات تمتاز بالدقة و التحقق من الرواية، و تقدم لنا بيانات العصر و الثقافة و الإنتاج الفكري.[3]

منهجيةالتراجم عند الخشني:

قمين بالإشارة إلى أن الأندلسيين اهتموا بتصنيف معاجم الأعلام وفهارس الكتب وهي كلها غنية بالمادة التاريخية. لقد ترك لنا المؤرخ أبو عبد الله محمد بن الحارث بن أسد الخشني معجما في أخبار الفقهاء والمحدثين.[4] ولد محمد بن الحارث الخشني في مدينة القيروان، ووفد على الأندلس سنة 311هـ/ 924م، ودخل في خدمة الحكم المستنصر فولّاه المواريث في بجانة، وتوفي في قرطبة في سنة 361هـ/ 971م.[5]

ولا بد من الإشارة إلى أن ثمة أسباب كانت الدافع للبحث عن أحوال الرواة والكشف عن المعلومات المتعلقة بهم وكذا الكشف عن كل ما يتعلق بحياتهم؛ منها الرحلة التي كانت من المشرق إلى الأندلس بعد دخول الإسلام الأندلس وبالعكس، حيث كانت عاملا مهما لاستكمال طلب العلم عند إرادة طلبه، وأسهمت حرية الحياة العلمية للعلماء والطلاب على حد سواء في بناء الحضارة الإسلامية في الأندلس ولم ترتبط حرية الطالب في اختيار شيوخه بالتوجيه الحكومي التي غالبا ما يكون العلماء فيها مرتبطين بوظائفها وخاضعين لتوجيهاتها، ولذلك كان للعلماء التأثير على سياسة الدولة .

E- ISSN : 2571-9742

ويمكن ترتيب أقاليم الأندلس المذكورة في تراجم الفقهاء والمحدثين– وهي ثمانية وعشرون – حسب عدد المنتمين إليها من علماء الأندلس و هي على النحو الآتي:

جدول تراجم الفقهاء و المحدثين عند الخشني:

الرقم	اسم المدينة	عدد المترجم لهم
01	قرطبة	216
02	طليطلة	43
03	إلبيرة	43
04	سرقسطة	34
05	وشقة	22
06	ريَة	17
07	وادي الحجارة	16
08	جيان	16
09	إستجة	14
10	إشبيلة	14
11	تطيلة	14

E- ISSN : 2571-9742

12	تدمير	14
13	الجزيرة	12
14	بجانة	12
15	قبرة	7
16	شذونة	6
17	بطليوس	6
18	فريش	4
19	ماردة	3
20	قرمونة	3
21	طرطوشة	2
22	باجة	2
23	لورقة	1
24	أستونة	1
25	مالقة	1
26	ولاردة	1
27	لشبونة	1

E- ISSN : 2571-9742
DM

28	الثغر	1
المجموع	28	527

إذا تم تدقيق النظر على التوزيع السكاني للمترجمين فيما كتب عن المجالات المعنية بالدراسة، نلاحظ ما يلي :

- مدى الجهد الكبير الذي بذله الخشني في جمع المادة العلمية لهذا الكتاب لهذا الكم الهائل من الفقهاء والمحدثين، وأنه كان ينتقل بين مدن الأندلس المختلفة، للسؤال والتحري عند جمع معلوماته عنهم.
- نالت قرطبة (حاضرة الأندلس) قسطا وافرا، ونصيبا أكبر من اهتمام الخشني، فهي العاصمة، وهي ملتقى طلاب العلم من كل مكان، وبها فضائل العلماء، الذين حرصت الإمارة ثم الخلافة على الانتفاع بعلمهم.
- غالبية من ترجم لهم الخشني أندلسيون مولدا، ونشأة، وثقافة، حيث ترجم الخشني في هذا الكتاب لعدد من الفقهاء والمحدثين، بلغت أعداد تراجمهم (527 ترجمة)، وهم موزعون على (28 مدينة أندلسية).

وأبرز ما يتصف به هذا الكتاب، أن الخشني في إطار النطاق الزمني للمترجمين، يركز اهتمامه على فقهائها، ومحدثيها خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، بينما لا يلتفت كثيرا إلى فقهاء القرن الثاني الهجري. ولعل رغبته في التمييز بين المحدثين والفقهاء هي التي ألجأته إلى ذلك، حيث تطور العلوم وازدهارها بالأندلس، ثم إن استقلالها عن المشرق يرتبط بهذين القرنين. فأقدم علماء هذا الكتاب وفاة تعود إلى سنة (180ه)[6] ، وبالنسبة للقرن الثالث الهجري، فإن أقدمهم توفي سنة(244ه) [7] ، وأواخرهم توفوا سنة (299ه)[8] ، وأحدث مترجم القرن الرابع الهجري وفاة هو (عيسى بن خلف الاشبيلي) المتوفى سنة(343ه)[9].

الإستشهادات التوثيقية عند الخشني:

تنقسم موارد كتاب الخشني إلى أقسام أساسية هي كالآتي:

أ- موارد صريحة: ويبلغ عددها (50) موردا، أهمها، رواية خالد بن سعد بـ 245 رواية [10]وأحمد بن خالد الذي نقل عنه الخشني 40 رواية [11]وأحمد بن سعيد بن حزم، ونقل عنه الخشني 36 رواية.[12]

ب- كتب طالعها الخشني: منها كتاب طبقات فقهاء الأندلس لعبد الملك بن حبيب [13].

ج- وكتاب محمد بن عبد الملك بن أيمن، وكتاب علكرة بن نوح، وكتاب أخبار علماء حمص.[14]

د- الوثائق: وهي وثائق موجودة بديوان الإمارة، منها كتاب الحكم بن هشام (180- 206 بمنح الأمان للفقيه عيسى بن دينار بعد ثورة الربض سنة 202 ه [15].

هـ- الموارد المجهولة: وهي الروايات التي استخدمها الخشني، وجعل لها صيغا متعددة، مثل: ذكر بعض الرواة [16]وأخبرني مخبر[17]. وسمعت ممن يحكى. [18]

من خلال هذه الموارد، تبدو قيمة الاتصال الوثائقي بالنسبة لموارد الخشني، فالصريحة منها استخدمت على النحو الآتي:

- الدقة في انتقاء هذه الموارد من حيث النقل والاقتباس.
- استخدام صيغا متنوعة مثل: ذكر وقال، وسمعت وأخبرنا.
- الحرص على توثيق المعلومات، من خلال الحرص على الذكر السند، والجمع والتنسيق بين الروايات المتشابهة.

وأبرز ما تتصف به ملاحظاته في مجال الكتب التي طالعها ونقل عنها، فيذكر اسم الكتاب ومؤلفه ثم السند الذي وصل به إليه.[19] وبخصوص الموارد المجهولة، فاستعمل مدلولات منها: يقال: الدالة على عدم التأكد من الشيء، أو التشكيك في صحته.

اعتمد الخشني في كتابه على ترتيب تراجمه على أبواب حروف الهجاء و الترتيب المغربي(أ، ،ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر ،ز ،س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ، و ،ي) كما اهتم بذكر التواريخ في تراجمه، ومقدار ما يحتويه الكتاب من حكم وفوائد تبرز غاية التاريخ. و من الواضح أن فن استخدام الترتيب الهجائي غير الدقيق في هذه الأعمال، بالنسبة للقرون الثلاثة، و هي القرن الرابع و الخامس و بداية السادس الهجري، كان أمرا طبيعيا ليس في الأندلس فحسب بل العالم الإسلامي ككل.

E- ISSN : 2571-9742
DM

ومن التراتيب المكنة في صناعة المعجم و فهرسة المادة، الترتيب الأبجدي و هو ترتيب قديم يعزى إلى نظام الكتابة الفينيقية، و عدد حروفه اثنان و عشرون حرفاً(أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت)، وقد أضاف العرب لهذه الحروف(ثخذ، ضظغ)، فصارت ثمانية و عشرين حرفاً.[20]

وفي هذا السياق، فإن عناصر تكوين التراجم عند الخشني، يمكن ذكرها على النحو الآتي:

- ✓ ذكر اسم المترجم له، ونسبه، ومنطقته، وتاريخ الوفاة.
- ✓ الاهتمام بذكر علم المترجم له، وأي العلوم غالبة عليه (الفقه أم الحديث).
- ✓ ذكر أساتيذ المترجم له من الأندلسيين، وما يتصل برحلته إلى المشرق وهذا عن طريق الأسانيد.
- ✓ التعرض للصفات من علم وزهد، وعبادة.
- ✓ الاهتمام بتوقيت الأحداث المختلفة في معظم تراجمه.

حرص الخشني في تراجم كتابه عن الفقهاء والمحدثين، على إبراز جانبين مهمين يتعلقان بالعلماء في الأندلس:

- ✓ جانب الحكمة والموعظة، والصواب. [21]
- ✓ الدور الايجابي الذي لعبه العلماء في المجتمع الأندلسي، فهم يتولون العديد من المناصب كالصلاة، والقضاء والفتيا، والشورى، وعقد الوثائق. [22]

والواقع أن الخشني تمكن من رسم صورة واضحة للعلماء في الأندلس وتصوير الحياة الثقافية الأندلسية، من خلال دور العلماء في سياسة الحكام، وإصلاح شؤون العلم. في واقع الأمر نحن أمام مصدر هام لكتب التراجم في الأندلس في القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي سواء في موضوعه، أو في محتوياته وموارده، أو في منهجه.

لقد سبقت التراجم العامة في الظهور التراجم الخاصة لأعلام صنف من الناس من الفقهاء أو القضاة، وتم تصنيف مؤلفات جامعة لتاريخ الرجال مثل كتاب محمد بن حارثالخشني [23] وكتاب تأريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس لابن الفرضي وهو من الكتب المتقدمة في هذا المجال وفيه تراجم مختصرة لعلماء الأندلس من الفقهاء والعلماء وأسماء الرواة وأنسابهم وعلاقاتهم ووظائفهم، وقد حملت

E- ISSN : 2571-9742

هذه الكتب مادة عن منجزات كثير من الرجال في الماضي، وهي تراعي الترتيب الزمني للحوادث غالباً وأكثر ما تطلق على الكتب المؤلفة في رجال أهل الحديث ثم أمتد استعمالها إلى بيان الحوادث وما إلى ذلك وقد تطور استعمالها فيما بعد.

من المسلمات التاريخية أن العلماء في الأندلس لم يكتبوا عن آدابهم، وعلومهم وتاريخهم إلا في وقت متأخر نسبيًّا، فإن أول كتاب كتبه أندلسي –فيما نعمل –هو "كتاب القضاة بقرطبة" لمؤلفه محمد بن حارث الخشني المتوفى سنة 360هـ، والخشني ليس أندلسيًّا بالميلاد، وإنما هو تونسي من القيروان، دعاه إلى قرطبة الخليفة الأموي الأندلسي المثقف الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر، وكان الحكم المستنصر قد أنشأ مكتبه نفيسة فريدة تضم أربعمائة ألف مجلد في كل فنون العلم والآداب والفنون في ذلك الزمان التي كانت تمثل مدينة قرطبة فيه صفة العاصمة الثقافية للعالم كله إسلامي وغير إسلامي

مكن الخليفة المستنصر لضيفه العالم الإفريقي القيرواني في أن يقيم في قرطبة إقامة ميسرة الأسباب، وأتاح له فرصة الانتفاع بالمكتبة المستنصرية الكبيرة وطلب إليه تأليف كتاب القضاة سالف الذكر، فأذعن العالم الجليل لطلب الخليفة العالم المثقف، وفرغ من تأليف كتابه هذا قبل سنة 360هـ، وهي السنة التي توفي فيها المؤلف. وهنا قد نسمح لأنفسنا –ما دام المؤلف غير أندلسي المولد– أن نقرر أن الكتاب من تأليف مؤلف غير أندلسي، وإنما هو إفريقي هاجر إلى الأندلس .

ومن الملاحظ أن هؤلاء الأعلام لهم التأثير أو التأثر بالأحداث في عصرهم، وهذه الكتب لا تذكرها كتب التأريخ العام التي تهتم بالأحداث الكبرى، وفي ذلك تخليد لأبرز رجال المجتمع، وهذا مهم في دراسة أحوال المجتمع حيث تشير هذه الدراسة إلى انعدام الفوارق بين الناس في تعلم العلم.

يعد علم الرجال فرعا من فروع التاريخ، وذلك لأن موضوعه الإنسان وهو الأساس في البناء ويمكننا القول أن هذا العلم يمدنا بمعلومات الرواة ويكشف المتشابه من أسمائهم ويوضح مكانتهم من العلم وحالهم من التوثيق أو التضعيف ورحلاتهم وتلاميذهم وشيوخهم مما يعطي صورة واضحة عن وجود الاتصال أو

E- ISSN : 2571-9742
DM

الانقطاع في الأسانيد، وكذلك يهدف هذا العلم إلى توضيح الاتجاهات العقدية مما يتيح الفرصة للناقد المعاصر ليعرف مدى تأثير اتجاهات الراوي ويوضح محتوى الرواية، وكذا يقدم لنا الأهمية في نقد المادة العلمية.

اهتم أهل الأندلس بتنظيم المادة العلمية المتعلقة بتاريخ الرجال على حروف المعجم وذلك لتسهيل الكشف عن تاريخ الرجال، خاصة أن المؤلفين القدامى لم يستعملوا ما يُعرف عندنا اليوم بـ (الفهارس).

الإحالات :

(1) فرانز، روزنتال، منهاج العلماء المسلمين في البحث العلمي (ترجمة: أنس فريحه)، ط3، بيروت: دار الثقافة، 1980، ص134.

(2) تم الاعتماد في دراسة هذا الكتاب، على طبعة مدريد سنة 1992: أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيرواني ،الخشني، أخبار الفقهاء والمحدثين بالأندلس (تحقيق: ماريا آبيلا ونويس هولينا)، مدريد: المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، 1992.

(3) ينظر: أحمد هاشم، محمد صالح السبعاوي،" ابن الحارث الخشني و منهجه في كتابة أخبار الفقهاء و المحدثين"، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 12،العدد 2،جامعة الموصل،2012،ص ص 257-280.

(4) تم الاعتماد في دراسة هذا الكتاب، على طبعة مدريد سنة 1992: أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيرواني ،الخشني، أخبار الفقهاء والمحدثين بالأندلس (تحقيق: ماريا آبيلا ونويس هولينا)، مدريد: المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، 1992.

(5) حول ترجمة الخشني، أنظر:- ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد الأزدي، تاريخ علماء الأندلس (تحقيق: صلاح الدين الهواري)، ط1، بيروت: المكتبة العصرية، 1427هـ/2006م ، ج2، ص103، (ت: 1400). و أيضا: - آنخل جنثا لث، بالنثيا، تاريخ الفكر الاندلسي، (ترجمة: حسين مؤنس)، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 1955م.، ص267- ص268.

(6) أخبار الفقهاء والمحدثين: ترجمة 73،ص 74 (حسين بن عاصم).

(7) نفسه، ترجمة : 126، ص 112، (محمد بن خالد بن مرتنيل).

(8) نفسه، ترجمة: 44، ص 39، (أصبغ بن مالك).

(9) نفسه، ترجمة: 358، ص 274، (عيسى بن خلف).

(10) من أهل قرطبة، كان إماما في الحديث. له كتاب في رجال الأندلس ألفه للمستنصر، توفي سنة 352 ه، انظر ابن الفرضي: ت: 398، ج 1، ص 128 -129

(11) من أهل قرطبة، كان إماما في الحديث. له كتاب في رجال الأندلس ألفه للمستنصر، توفي سنة 352 ه، انظر ابن الفرضي: ت: 398، ج 1، ص 128 -129

E- ISSN : 2571-9742
DM

[12] عني بالآثار والسنن، وجمع الحديث، صنف (تاريخا في المحدثين)، وتوفي سنة 350 ه، ابن الفرضي، ت:142، ج 1، ص 53-54.

[13] أخبار الفقهاء، ترجمة: 73، ص 74.

[14] نفسه، ص 187.

[15] نفسه، ص 271.

[16] نفسه، ص 115، ت: 129.

[17] نفسه، ص 114.

[18] نفسه، ص 133.

[19] الخشني، المصدر السابق، ،ص 187، (رأيت في كتاب أخبار علماء حمص).

[20] 4- خليل، سميرة: "الترتيب الهجائي و كيفيات استخدامه في كتب التراجم في القرن السادس الهجري"، مجلة المكتبات و المعلومات العربية، العدد 3، لندن، دار المريخ، يوليو، 1987، ص ص53-84.

[21] مثل(إذا تردد الرجل على القاضي ثلاث مرات بلا حاجة، فلا تجوز شهادته، نفسه، ص 83.

[22] صلاة الجماعة بقرطبة)، نفسه ، ص 41.(قضاء طليطلة)، ص 27.

[23] و يقصد بالكتاب :أبو عبد الله محمد بن الحارث بن أسد الخشني القيرواني الأندلسي، قضاة قرطبة، (تحقيق: إبراهيم الأبياري)، ط2، القاهرة: دار الكتاب العربي، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1410هـ/1989.تحدث في الكتاب عن قضاة الحاضرة قرطبة في عهد الولاة، و الأمراء، و الخلفاء من بني أمية بالأندلس. فذكر خطورة منصب القاضي، و أهميته في سياسة أمور الدولة و حفظها، و العناية بها، و كشف عن موقف العلماء من ذلك المنصب قبولا و رفضا.